التأليف في أدب المحاضرات

النشأة والتطور

أ/ محمد تيطراوي
جامعة البليدة2

الملخص:

إن ما يعنينا في هذه الدراسة هو البحث عن التأليف في موضوعات الأدب العربي ، وفي جنس أدبي- لعله لم يحظ بالدراسة والبحث- يمكن تسميته بأدب المحاضرات. وللوصول إلى تحديد ماهية هذا الجنس الأدبي وطبيعته، وكيف نشأ وتطور. حاولنا البحث عما توفر لنا من النصوص –ذات الصلة بالأدب العربي-التي ترافقت وحركة التدوين الأولى ، حتى يمكن أن نتخذها من مرجعيات التصنيف في هذا الأدب. وتصورنا بأن الإجابة عن فرضيات – قد تكمن في مثل هذه التساؤلات: ما هي البواكير الأولى- كوثائق مكتوبة- التي تمثل نشأة أدب المحاضرات؟، وما هي أهم النماذج – من المؤلفات-التي تبين مدى تطور هذا اللون من التأليف في الأدب ؟ مامضمون مؤلفات هذا الأدب؟ ما دواعي ذيوعه؟ وما الغايات التي يصبو إليها كُتَّابُه؟...- يمكن أن تكشف عن بعض جوانب هذا الأدب. وختمنا الدراسة بتسجيل بعض الملاحظات والنتائج.

Abstract :

Our concern in this study is to look for authoring topics in the Arabic literature, specifically in literary genre which is probably not studied yet, and can be named “AdabAl-Muhadarat”. In order to determine the nature of this genre and how it emerged and evolved, we tried to provide Arabic literature texts that came along with the first writing movement, so they can be considered as references in the classification of this literature.

Therefore, with a view to reveal some of this literature's aspects we tempted to answer the following hypothesis: what are the very first manuscripts that represent the rise of Adab Al-Muhadarat? What are the most significant documents that show the evolution of this type of literature, and what do they contain? Why was this literature widely spread, and what do its authors aim to?

The study was, at last, concluded by recording some observations and results.

المنارة للاستشارات

نصوص ترافقت وحركة التدوين الأولى:

إن تعلق المسلمين بالقرآن الكريم من جهة، وماخلّفته حروب الردة- في عهد الصديق رضي الله عنه؛ التي قضت على الكثير من الصحابة " ومن بينهم عدد من حفاظ القرآن ". [1]- من جهة أخرى، قد عجل بوتيرة التفكير في جمع القرآن الكريم، وكانت الاستجابة الفورية من أول خليفة بعدما " أشار عمر رضي الله عنه [عليه] بأن يجمع القرآن" [2] ، ثم تكررت الاستجابة وبخطوة أكثر عملية –هذه المرة- من الخليفة الثالث، بناء على مشورة حذيفة بن اليمان(ت36ه) الذي قال للخليفة عثمان رضي الله عنه:" يا أمير المؤمنين. أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب كما اختلف اليهود والنصارى "[3]. وتوالت عمليات نسخ كتاب الله تعالى، وكذا تدوين الحديث الشريف بوتيرة متتابعة ومتسارعة، بحيث قام علماء الحديث بدور ريادي في حركة التدوين والتأليف، و"هناك كلمة يجب أن تقال: وهي أنه لا العرب ولا الفرس أصحاب فضل في التدوين ثم التأليف، وإنما الفضل يكمن في العقيدة الجديدة التي حضت الجميع على العلم ، ودفعت بهم إلى المعرفة ؛ فكان التصنيف ثم التأليف ثمرتين لهذه المعرفة. وكان مران الدقة، وسلامة المنهج، وسمات التأني، وعلامات التثبت؛ كلها نابعة من التجربة الرائدة التي قام بها علماء الحديث "[4]، وكل ذلك هيأ فضاء مناسبا لنشأة وتدوين ما له علاقة باللغة والأدب في عاصمة الخلافة دمشق ، حيث تشجيع خلفاء بني أمية، ثم في مرحلة لاحقة بحواضر العلم وتحديدا في البصرة والكوفة وفي بغداد في العصر العباسي، وفي الأندلس؛ لا سيما بعد انتشار ما يعرف بالنسَّاخين والورَّاقين الذين ارتبطوا بالتأليف فيما بعد العصر الأموي، وكان لذلك الأثر البالغ " في تطوير صناعة الكتاب، وتطوُّرِ فنون الخط العربي، و التجليد والتذهيب"[5] و" قد شَكَّلَ سوق الوراقين حاضنا ثقافيا- وحضاريا متطورا، يستحق أن يتباهى به العباسيون كإنجاز حضاري دل على رقيّهم، وحسهم العالي، وشعورهم بالمسؤولية التاريخية إزاء عصرهم وما تلاه. فلقد كان هذا السوق-إضافة إلى كونه سوقا تجاريا-موئل الصفوة العلمية من أهل الأدب والفكر والسياسة. وليس اعتباطا أن يصفه ابن الجوزي بأنه كان مجلس العلماء والشعراء". [6]، وكان العلماء والأدباء والفلاسفة يجدون ضالتهم عند دكاكين الوراقين المتنوعة من حيث ألوان المعرفة؛ فكان هذا الورَّاق عالما بـ"علوم الحديث، وذاك أديب...وثالث متكلم...ورابع يتعاطى الفلسفة...وسادس أخباري...لذلك كان الرواد من الأدباء والعلماء يعرفون غاياتهم...وكل يجد ضالته...وقد انتقلت هذه الظاهرة إلى الوراقين

المنارة للاستشارات

في بقية الأمصار الإسلامية كالمغرب والأندلس ومصر والشام"[7] كما كان- أيضا- فتحا على تصنيف شتى المعارف، وعلى التأليف في علوم اللغة العربية وآدابها على وجه الخصوص، وقد" كان الغرض الأسمى من تأصيل هذه العلوم وتقعيدها خدمة القرآن الكريم وصيانة له من اللّحن، ولا سيما بعد اتصال العرب بالعجم. "[8]. وسنرى بأن التأليف الأدبي قد ترافق مع التأليف في مختلف ألوان المعرفة الأخرى حتى بعد سقوط بغداد في سنة(656هـ)؛ حيث نجد أن " المؤلفات الضخمة النفيسة التي عرفت باسم الموسوعات قد كتبت في العصر المملوكي"[9].

ففي هذه الأجواء يمكن البحث فيما إذا كانت البذور الأولى للتدوين قد طُعِّمَتْ بما له علاقة بالأدب، حتى ولو كانت تلك البدايات عبارة عن مجرد مكتوب، بغض النظر عن قِصَرِ النص أو طوله، وسواء دُوِّنَ على الورق أو غيره من وسائل الكتابة- في ذلك العصر- التي رافقت عملية تدوين التراث العربي الأدبي. وقد كان الكُتَّابُ-كما كان الخلفاء- " يُعْنَوْنَ بالطوامير والقراطيس(أي: الصحف الكبيرة) التي كانوا يكتبون فيها، كما كانوا يُعْنَوْنَ بنفس كتابتهم وخطوطهم " [10].

ويبدو أن كتابة الرسائل قد بلغت ذروتها عند عبد الحميد الكاتب(ت132هـ)-كما سنرى- الذي وصفه الجاحظ في بيانه بعبد الحميد الأكبر، و" لَا تُلْفِتُنَا عند عبد الحميد براعته الأدبية فحسب ، وإنما يُلْفِتُنَا أيضا أنه تحول بطائفة منها إلى رسائل أدبية بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، محاكيا في ذلك ما كان يعرفه من رسائل الفرس الأدبية"[11]. وسنحاول-فيما سيأتي-أن نتلمس بعضا من وثائق البدايات الأولى- انطلاقا من عهد معاوية رضي الله عنه(ت60هـ)- ، والتي رسخت قناعة لدى بعض الدارسين بأنها تمثل مرحلة ما قبل التأليف.

وقد نقلت لنا بعض المصادر ما يفيد عن هذه المرحلة المتقدمة. يقول ابن النديم(ت438هـ) بأن رجلا " يقال له محمد بن الحسين ، ويعرف بابن أبي بعرة(ت..؟). جَمَّاعة للكتب. له خزانة لم أر لأحد مثلها كثرة؛ تحتوي على قطعة من الكتب العربية في النحو واللغة والأدب والكتب القديمة. فلقيت هذا الرجل دفعات، فأنس بي، وكان نفورا ضنينا بما عنده خائفا من بني حمدان، فأخرج لي قمطرا كبيرا فيه نحو ثلاثمائة رطل جلود فلجان، وصكاك[جمع(صك):كِتَابٌ، وَهُوَ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ]، وقرطاس مصر[ي]، وورق

المنارة للاستشارات

صيني، وورق تهامي ، وجلود آدم، وورق خراساني؛ فيها تعليقات عن العرب، وقصائد مفردات من أشعارهم، وشيء من النحو والحكايات والاخبار والأسماء والأنساب، وغير ذلك من علوم العرب وغيرهم. وذكر أن رجلا من أهل الكوفة-ذهب عني اسمه-كان مستهترا بجمع الخطوط القديمة، وأنه لما حضرته الوفاة خصه بذلك لصداقة كانت بينهما، وأفضال من محمد بن الحسين عليه، ومجانسة المذهب؛ فإنه كان شيعيا. فرأيتها وقلبتها؛ فرأيت عجبا، إلا أن الزمان قد أخلقها، وعمل فيها عملا أدرسها وأحرفها، وكان على كل جزء أو ورقة أو مدرج توقيع بخطوط العلماء واحدا أثر واحد، فذكر فيه خط من هو، وتحت كل توقيع توقيع آخر خمسة [أ]و ستة من شهادات العلماء على خطوط بعض لبعض، ورأيت في جملتها مصحفا بخط خالد بن أبي الهياج (ت..؟)صاحب علي رضي الله عنه، ثم وصل هذا المصحف إلى أبي عبد الله بن حاني(ت.؟) رحمه الله، ورأيت فيها بخطوط الإمامين: الحسن(ت50ه) والحسين(ت61ه)، ورأيت عنده أمانات وعهودا بخط أمير المؤمنين علي عليه السلام، وبخط غيره من كتاب النبي ﷺ، ومن خطوط العلماء في النحو واللغة: مثل أبي عمرو بن العلاء(ت154ه)،... والشيباني(ت206ه)، والأصمعي، وابن الأعرابي، وسيبويه، والفراء، والكسائي، ومن خطوط أصحاب الحديث: مثل سفيان بن عيينة(ت198ه)،وسفيان الثوري، والأوزاعي، وغيرهم. ورأيت ما يدل على أن النحو عن أبي الأسود ما هذه حكايته ؛ وهي أربعة أوراق أحسبها من ورق الصين ترجمتها هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول من أبي الأسود رحمة الله عليه بخط يحيى بن يعمر ، وتحت هذا الخط بخط عتيق هذا خط علان النحوي، وتحته هذا خط النضر بن شُمَيْل(ت203ه)، ثم لما مات هذا الرجل فقدنا القمطر وما كان فيه فما سمعنا له خبرا، ولا رأيت منه غير المصحف هذا على كثرة بحثي عنه"[12].

ولعل من بين ممثلي هذه المرحلة يحي بن يعمر العدواني(ت129ه) الذي يقول عنه الجاحظ(ت255ه): " ورأيت الناس يتداولون رسالة يحيى بن يعمر، على لسان يزيد بن المهلب(ت102ه): «إنّا لقينا العدوّ فقتلنا طائفة وأسرنا طائفة، ولحقت طائفة بعراعر الأودية وإهضام الغيطان، وبتنا بعرعرة الجبل، وبات العدو بحضيضة».[عراعر الأودية: أسافلها. وعراعر الجبال: أعاليها. وأهضام الغيطان: مداخلها. والغيطان: جمع غائط، وهو الحائط ذو الشجر] "[13]. وإلى جانب يحي بن يعمر، يذكر الدارسون عبد الله الطالبي(ت129ه)[14] ، الذي جاء في إحدى رسائله: " فإليك بعد الله نرفع كربة الشكوى،

المنارة للاستشارات

ونشكو شدة البلوى، فمتى تملي إلينا طرفا، وتقول فك عطفا، تجد عندنا نصحا صريحا، وودا صحيحا"[15].

والواضح أن"عبد الله بهذا المنهج المتين، المسبوك المحكم، وهذا الأسلوب الأنيق...يمثل المرحلة الثانية في تطور الكتابة العربية...قبل الانتقال إلى مرحلة التأليف"[16].

وبالعودة إلى عبد الحميد الكاتب(ت132هـ)، الذي نال حظا وافرا لدى الدارسين في فن الرسائل الإداريةكما أسلفنا؛ فإن مدرسته على المستوى الأدبي واللغوي ما " هي إلا امتداد متطور متدرج للنهج العربي في الكتابة جعل منها مهنة لها مبادئ وأصول وتقاليد ودستور، وقد فصل عبد الحميد في رسالته المشهورة إلى الكتاب " [17]، ومن الأمانة الاعتراف بحق الرجل في ترقية الكتابة الأدبية، ولا ينكر ذلك إلا جاحد؛ ذلك أنه قد ارتقى بالنثر الفني، وأبدع فيه بحيث غدا (القلم العربي)- من بعده- " قادرا على التصرف في المعاني ثم تصوير الأفكار، وبالتالي قادرا على تأليف الكتاب الناضج الكامل الاستواء"[18]. ولعل رسالته التي كتبها إلى أهله، حين أحس بقرب أجله ، يعزيهم في نفسه لدليل عل ذلك. وهي رسالة حزينة غاية في البلاغة، بل كانت أدبية بكل معايير الصدق الفني، وعمق وثراء المعنى ، وغنى اللفظ[19].

ورغم أن تأثير مدرسة عبد الحميد على فن الكتابة العربية كان كبيرا، إلا أن ذلك لا يتنافى مع أصالة النثر الفني العربي؛ وهو ما صرح به زكي مبارك (ت1371هـ) قبل أكثر من ثمانية عقود من الزمن؛ حيث قال، بِـ: "أن العرب كان لهم نثر فني قبل الإسلام ، فكان لهم وجود أدبي متين قبل أن يتصلوا بالفرس واليونان. وفي هذا قضاء على أوهام من زعموا : أن أول كاتب في اللغة العربية هو ابن المقفع الفارسي الأصل"[20].

نشأة أدب المحاضرات في ظل حركة التدوين في البلاد العربية، ومرجعيات التأليف الأدبي(أو مرحلة ما قبل التأليف):

لقد سبق القول بأن الذي يعنينا من حركة التدوين العربية هو الكتابة في موضوعات الأدب، والتي كانت- في بداياتها الأولى -عبارة عن رسائل كما سبق الذكر، ومن ثَمَّةَ كان التأسيس للتأليف في تلك الموضوعات التي خرج منها أدب المحاضرات كما سيأتي.

ففي هذا السياق، يتحدث الرافعي(ت1356هـ) في أولية التدوين في الأدب، وعن البواكير الأولى لهذا النوع من التأليف، فيقول: " ثم كان أول ما كتب في الأدب صحيفة

المنارة للاستشارات

أبي الأسود الدؤلي المتوفى سنة 69هـ ... وهي المعروفة عند النحاة بتعليقة أبي الأسود،[ثم]أمر معاوية عبيد بن شرية الجرهمي النسابة الأخباري(ت نحو67هـ) أن يدون قوله وينسب إلى عبيد هذا؛ وكان ذلك أول ما دون في الأخبار... [ثم]عمل زياد (ت53هـ) [21]كتابًا في المثالب ودفعه إلى ولده، وقال: استظهروا به على العرب فإنهم يكفون عنكم؛ وكان هذا أول كتاب وضع في المثالب. وقد رأينا في "الفهرست" لابن النديم(ت438هـ) أن أبا مخنف(ت57هـ)[22] من أصحاب علي كرم الله وجهه، ألف كتابًا ضمنه بعض التراجم؛ فإذا صح هذا يكون أبو مخنف أول من دون في ذلك؛ وكان هذا الرجل صاحب أخبار وأنساب، والأخبار عليه أغلب. ويقال إن أول من ألف في السير عروة بن الزبير(ت93هـ) ، وألف وهب بن منبه (ت114هـ)[23] [في] الموضوعات التاريخية، ووضع بعد ذلك محمد بن مسلم الزهري(ت124هـ)كتابًا في المغازي، فكان أول من دونها؛ وكتب بعده محمد بن إسحاق(ت151هـ)كتابه الشهير في السيرة ومزجه بالخرافات والموضوعات على نحو ما فعل ابن منبه...ثم جاء ابن النطاح(ت252هـ)[24] من الأخباريين في أواخر القرن الثاني، وهو أول من ألف في الدولة الإسلامية وأخبارها كتابًا... وجاء ابن الكلبي النسابة (ت204هـ) فدون أنساب العرب، وكان أول من فعل ذلك؛ ثم كان أبو عبيدة الراوية (ت211هـ) فصنف في أيام العرب. هذا ما وقفنا عليه من الخبر في أولية التدوين في الأدب خاصة"[25].

فمن نص الرافعي السابق يبدو بأن " الكتابة نمت في العصر الأموي نموا واسعا، فقد عرف العرب فكرة الكتاب، وأنه صُحُفٌ يُجْمَعُ بَعْضُهَا إلى بعض في موضوع من الموضوعات، وقد ألفوا فعلا كتبا كثيرة"[26]. ويذكر الباحث مصطفى الشكعة بأن عبد الله الطالبي -الآنف الذكر- كان "واحدا من الرواد الذين روضوا للكتابة من مرحلة التقعر إلى منهج البساطة، وطوروها من صورة التوعر إلى أسلوب السهولة، وهو في ذلك يشكل مرحلة بين مرحلتين : مرحلة يحي بن يعمر، ومرحلة عبد الحميد ومدرسته"[27]

وإذا كانت الرسائل السياسية-الديوانية قد طغت على الرسائل الأدبية في العصر الأموي، فإن الرسائل ذات الطابع الاجتماعي قد كانت تنمو وتترعرع على أيدي الكتاب أنفسهم، " ولم تكن الرسائل السياسية وحدها هي التي يطرد لها النمو والازدهار، بل شاركتها في ذلك الرسائل الاجتماعية أو الشخصية، لسبب بسيط، وهو أن من كانوا يكتبونها كانوا يعيشون في تلك الحقب التي أخذ البلغاء يهتمون فيها بتنميق أساليبهم، وإبداعها ضروبا من البيان والفصاحة، ونسوق مثلا لها رسالة عبد الله بن معاوية بن عبد

المنارة للاستشارات

الله بن جعفر (أي الطالبي المذكور) إلى رجل من إخوانه: أما بعد فقد عاقني الشك في أمرك عن عزيمة الرأي فيك، ابتدأتني بلطف عن غير خبرة، ثم أعقبتني جفاء عن غير ذنب، فأطعمني أولك في إخائك، وأبأسني آخرك من وفائك، فلا أنا في اليوم مجمع لك اطراحًا، ولا أنا في غد وانتظاره منك على ثقة، فسبحان من لو شاء كشف بإيضاح الرأي في أمرك عن عزيمة فيك، فأقمنا على ائتلاف، أو افترقنا على اختلاف ، والسلام"[28].

يقول شوقي ضيف في معرض تعليقه على فحوى وأسلوب هذه الرسالة: " والرسالة على قصرها يتضح فيها جهد كاتبها في تحبيرها، فقد بناها على الطباق والمقابلة بين المعاني والألفاظ، والتوازن بين العبارات والكلمات الفصيحة ذات المخارج الحسنة، وكان [شارحا] بينا وخطيبا لسنا، فأضفى من لسانه وبيانه على رسالته"[29].

التأليف الأدبي ومرحلة النضج:

سنجد أن الرسالة الأدبية -كمصنف صغير- ستتطور في العصر العباسي على أيدي كبار الكتاب من أمثال الجاحظ. "وقد كان الجاحظ يدرك خطر وأهمية كُتَّابِ الخلفاء والأمراء والدواوين، فوجه نقده إليهم مباشرة، وألف في ذلك رسالة عرفت باسم (رسالة في ذم أخلاق الكُتَّابِ)[30] "[31]. فمن خلال محاولة توجيهه لِكُتَّابِ عصره- وبسخريته المعهودة - يدعوهم للاقتداء بأعلام الفكر والأدب ، يقول هازئا: " ثم الناشئ فهم إذا وطئ مقعد الرئاسة...وصارت الدواة أمامه...وروى لبزرجمهر[32] أمثاله، ولأردشير[33] عهده، ولعبد الحميد رسائله، ولابن المقفع أدبه، وصير كتاب(مزدك)[34] معدن علمه، ودفتر(كليلة ودمنة) كنز حكمته، ظن أنه الفاروق الأكبر في التدبير، وابن عباس في العلم بالتأويل، ومعاذ بن جبل في العلم بالحلال والحرام، وعلي بن أبي طالب في الجرأة على القضاء والأحكام، وأبو الهذيل العلاف[35] في الجزء والطفرة ... والأصمعي(ت216هـ) وأبو عبيدة في معرفة اللغات والعلم بالأنساب".[36]

وقد ارتبطت هذه الرسائل الأدبية -التي تمثل النماذج الأولى للتأليف الأدبي- بمشاهير الكتاب. وتلك الرسائل التي " وجدت طريقها إلينا مجموعة ثم مطبوعة؛ هي: رسائل الجاحظ، ورسائل ابن العميد(366 هـ)، ورسائل الصاحب بن عباد[37]، رسائل أبي بكر الخوارزمي(ت383هـ)، رسائل أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني (ت398هـ)، رسائل

المنارة للاستشارات

قابوس بن وشمكير[38]، رسائل أبي إسحاق الصابي (ت448هـ) والشريف الرضي(ت406هـ)، رسائل إخوان الصفا...الفصول والغايات لأبي العلاء المعري"[39].

ولاشك أن بواكير تصنيف الدواوين الشعرية التي تُلْحَقُ بالمصادر الأدبية-كالمعلقات، والمفضليات، والأصمعيات، وجمهرة أشعار العرب، و مختارات ابن الشجري، و دواوين الحماسة- كانت هي الأخرى من أهم الجهود التي شجعت على التأليف من جهة، وهيأت المادة التي تغذت منها- فيما بعد- استشهادات مؤلفي أدب المحاضرات، إلى جانب المصنفات التي تضمنت الأمثال والحكم والأخبار من جهة أخرى، وهي التي مهدت-بدورها- لظهور حركة التصنيف والتأليف الأدبي لِأُمَّات المصادر الأدبية التي جمعت قدرا هائلا من المعارف العربية؛ وهذه المعارف-هي الأخرى- تكون قد وفرت-بمرور الزمن- قسطا من المادة العلمية والأدبية لِكُتَّابِ أدب المحاضرات الذي لا يكاد يخلو من النوادر، والقصص، والمسامرات، والفوائد اللغوية والأدبية والتاريخيةكما سيأتي.

تطور أدب المحاضرات :

وإذا كان الجاحظ يتجلى كرائد للكتابة الأدبية ، حيث أبدع في سلسلة من التآليف تعتبر من عيون الأدب العربي؛ منها ما نقرأه في البيان والتبيين، والبخلاء، والحيوان، والرسائل الأدبية، وغيرها؛ فإنَّ أدب المحاضرات بالمعنى الدقيق سنجده مع ابن قتيبة(ت276هـ) ؛ الذي يحوز على قصب السبق في نضج هذا اللون من الأدب بكتابه (عيون الأخبار) على وجه الخصوص. ذلك أن هذا الكتاب يمثل تطورا واضحا لهذا الأدب من حيث التنوع في الموضوعات، وأنه لا يقتصر على فئة دون أخرى ، و" لم يكن كتابه هذا وقفا على طالب الدنيا دون طالب الآخرة، ولا على خواص الناس دون عوامّهم، ولا على ملوكهم دون سوقتهم، بل وفّى كلّ فريق منهم قسمه"[40].

وبانقضاء القرن الثالث الهجري الذي كان ثريا في التأليف الأدبي؛ تظهر تآليف يمكن اعتبارها من النماذج في أدب المحاضرات ، وقد كان زكي مبارك- في ثلاثينات القرن الماضي؛ بكتابه (النثر الفني في القرن الرابع)- سباقا إلى الكشف عن العديد من تلك التآليف ، ومنها(نشوار المحاضرة) للتنوخي [41].

ولايكاد ينقضي النصف الأول من القرن الرابع حتى يكون أبو الفرج الأصبهاني، (ت357هـ) قد أنجز عشرات الكتب، منها كتاب (التعديل والانتصاف) في أخبار القبائل

المنارة للاستشارات

وأنسابها، وكتاب(الأخبار والنوادر)، وكتاب(مجموع الآثار والأخبار)، وكتاب (أيام العرب) ، و(كتاب الأغاني) الموسوعة العربية الضخمة التي طبقت شهرتها الآفاق[42].

وبخلاف ما حدث بالمشرق؛ يذكر بعض الدارسين بأن التأليف –إذا استثنيا بواكيره الأولى-سيتأخر في الظهور ببلاد الأندلس إلى ما بعد انتهاء القرن الثالث ؛ ذلك أن " الأندلسيين لم يؤلفوا في تاريخهم وأدبهم قبل القرن الرابع الهجري"[43]. وسنجد بأن التأليف الأدبي بها-على وجه الخصوص- سوف يعرف ازدهارا في فترات لاحقة. ومن بين ما له علاقة بموضوع دراستنا من المؤلفات: " (قلائد العقيان) لأبي نصر الفتح بن خاقان (ت529ه)؛ الذي هو عبارة عن عن فهارس لأعلام الشخصيات المتميزة بالأندلس-وزراء، قضاة، أدباء...- في قالب أدبي شعرا ونثرا. وقد اشتمل بأجزائه الأربعة على أحاديث، ومشافهات، ومشاهدات، ووقائع، عن أولئك المرموقين-، و(الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) لأبي حسن علي بن بسام (ت542ه)، و(المُغرِبُ فِي حُلَى المَغرِبِ) لأبي الحسن علي بن موسى بن سعيد(ت685ه)...و(نفح الطيب) للمَقَّري(ت1041ه)؛ وهو آخر المصادر الكبيرة التي تناولت الآداب الأندلسية ، وأكبرها حجما، وأغزرها مادة"[44] .

ورغم أن أدباء الأندلس قد قَدَّمُوا إضافاتٍ أسهمت في تطور أدب المحاضرات، إلا أن تلك الإسهامات لم تخل من تأثيرات المشارقة، ومن ذلك أن كاتبا كبيرا كابن عبد ربه(ت328ه) في منجزه الأدبي الضخم(العقد الفريد) كان قد تأثر بشكل بَيِّنٍ من مضمون كتاب(عيون الأخبار) لابن قتيبة الذي وصل إلى المغرب والأندلس ولقي رواجا هناك كما بين ذلك عز الدين إسماعيل الذي قدم ثلاث إحالات ؛ على سبيل المثال- كموازنة- بين مضموني الكتابين: نفح الطيب وعيون الأخبار، للتأكيد على أن صاحب النفح قد نقل العديد من المعطيات من كتاب ابن قتيبة المنوه به[45]. والأمر نفسه مع ابن عبد ربه؛ يقول شوقي ضيف معلقا على ذلك: " وإذا تركنا الحياة العقلية في الأندلس إلى الحياة الأدبية وجدنا ظاهرة التقليد للمشرق واضحة جلية؛ إذ تصاغ الكتب الأدبية عند الأندلسيين على شكل الكتب الأدبية عند المشارقة، يصاغ (العقد الفريد)على شكل(عيون الأخبار)، ويراه الصاحب بن عبَّاد فيقول: هذه بضاعتنا ردت إلينا"[46].

المنارة للاستشارات

وبالموازاة مع التطور الكبير الذي عرفته وسائل الكتابة، و مع تعدد حواضر العلم والأدب بالعالم الإسلامي-كما أسلفنا الذكر- فقد عرف تصنيف الموضوعات- في تآليف أدب المحاضرات- كثرة وتباينا وتنوعا؛ من حيث طريقة التصنيف وطبيعة الموضوع المعالج:

من حيث طرقُ التصنيف:

عمد العديد من كُتَّابِ أدب المحاضرات إلى تقسيم مصنفاتهم لكتب أو أبواب أو جولات، أو حدود وفصول، أو مقتبسات من كتب، أو هي متنوع من دون ترتيب لأقوال وحكم، وغيرها مما سيتوضح عند الحديث عن مضامين هذا اللون من الأدب.

فأما من قسم كتابه إلى أقسام بعنوان كتاب لكل قسم، فهو كما فعل ابن قتيبة في كتابه المذكور، حيث يقول: " وإني حين قسّمت هذه الأخبار والأشعار وصنّفتها وجدتها على اختلاف فنونها وكثرة عدد أبوابها تجتمع في عشرة كتب... فالكتاب الأوّل: ...كتاب السلطان... والكتاب الثاني :كتاب الحرب... والكتاب العاشر: كتاب النساء... "[47].

أما في الأندلس، فإن ابن عبد ربه قد اتخذ منهجا آخر في التأليف، يقول"وسمّيته كتاب (العقد الفريد) لما فيه من مختلف جواهر الكلام، مع دقة السّبك وحسن النّظام؛ وجزّأته على خمسة وعشرين كتابا، كل كتاب منها جزآن، فتلك خمسون جزءا في خمسة وعشرين كتابا [و] قد انفرد كلّ كتاب منها باسم جوهرة من جواهر العقد، فأوّلها: كتاب اللؤلؤة في السلطان، ثم كتاب الفريدة في الحروب [ومدار أمرها] ، ثم كتاب الزّبرجدة في الأجواد والأصفاد"[48].

ومن المؤلفين من قَسَّمَ تأليفه إلى أبواب ، وهم الكثرة؛ كما نجد ذلك في كتاب مثل: (بهجة المجالس) لابن عبد البر (ت463هـ) الذي قَسَّمَهُ إلى مائة واثنين وثلاثين بابا[49].

وبالعودة إلى مشرقنا العربي، فإن كتاب (التمثيل والمحاضرة) للثعالبي(ت429هـ) قد قُسِّمَ إلى أربعة فصول. يقول مؤلفه: " من كتاب في التمثيل والمحاضرة: إسلامي وجاهلي، وعربي عجمي، ... يشتمل على أمثال الجميع،...ويتضمن ما يأخذ مأخذها من فرائد النثر. وقلائد النظم، ...وهو مفصل في أربعة فصول"[50]

وقبل الثعالبي بقليل كان أبوحيان(ت نحو400هـ) قد قسم كتابه(الإمتاع والمؤانسة)- وهو مجموع مسامرات في فنون شتى- إلى أربعين ليلة" فكان يدون في كل ليلة ما دار فيها بينه وبين الوزير على طريقة قال لي، وسألني، وقلت وأجبت"[51].

المنارة للاستشارات

ولا نكاد نبارح منتصف القرن السادس الهجري حتى نجد نموذج طريقة التأليف بالأبواب والفصول قد ترسخ على يدي محمد، ابن حمدون(ت562ه) بكتابه (التذكرة الحمدونية) الذي قَسَّمَهُ إلى خمسين بابا، وكل باب يحتوي على عدة فصول. يقول صاحبه: " ... ذلك مما هو مشروح في أبوابه وفصوله، ... وشرفت كل باب بأن بدأته بآي من كتاب الله سبحانه وتعالى، وأثر من رسوله ﷺ، وقدمت أمامه تحميدا يكون مشيرا إلى معناه، وطليعة لمقصد هو مغزاه، ، وختمته بطرف من نوادره،...خلا بابي الافتتاح والخاتمة؛ فإنهما لله خالصان، وللإنقاذ من هفوات القلب واللسان مؤملان"[52].

وَبَيِّنٌ مما نقلنا من مقدمة ابن حمدون ، أن هذا الكتاب الضخم- الذي يتشكل (مطبوعا) من تسعة مجلدات، والعاشر منها للفهارس- يتميز- عن العديد من كتب أدب المحاضرات الأخرى- بخطة فريدة، محكمة في التأليف؛ بحيث قُسِّمَ إلى أبواب وفصول- كما صَرَّحَ صاحبُه - وكل باب مبدوء بآية من القرآن الكريم والحديث الشـريف، تَعْقُبُهُمَا تَحْمِيدَةٌ لله، وتَخْتُمُهُمَا نَوَادِرٌوَطُرَفٌ بغاية دفع الملل ، مع تخصيص الباب الأول من أبواب الكتاب للافتتاح، والباب الأخير منه كخاتمة له. وهي طريقة في التأليف التزم بها في سائر أجزاء كتابه مِنْ أَلِفِهِ إِلَى يَائِهِ.

و يستمر هذا المنهج في تأليف أدب المحاضرات إلى القرن التاسع الهجري؛ حيث نجد كتاب (المستطرف) لأبي الفتح الأبشيهي، شهاب الدين (ت852ه) الذي قَسَّمَهُ إلى أربعة وثمانين بابا، كل باب فيه فصول.

ومنهم من تناول مقتبسات من كتب سابقة كما فعل السيوطي(ت911ه) في كتابه(المحاضرات والمحاورات) ؛ فَ" بعد أن يتم ما أراده من حسن الاختيار من ذلك الكتاب ينتقل إلى كتاب آخر، وهكذا، فاختياره يقوم على تنوع النصوص من الكتاب الواحد، فنجده يذكر عنوانا مثل: (منتخبات من كتاب ...)، أو (مستحسنات من كتاب..)، أو (منتقى من المصنف ...)، أو (ذكر مستحسنات انتقيتها من كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، أو في(تاريخ ابن عساكر)، وهكذا. وإذا انتهى من النقل ذكر ما يدل على الانتهاء، كأن يقول: (هذا كله في تاريخ ابن عساكر)...، أو يقول في آخر المنقول: (انتهى) "[53].

وانفرد- فيما بحوزتنا من المراجع-كتاب(المخلاة) لبهاء الدين العاملي(ت1031ه) الذي قُسِّمَ إلى جولات، بلغت أربعين جولة. وقد استهل العاملي كتابه مباشرة بقوله:" بسم

المنارة للاستشارات

الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين. الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم. الجولة الأولى: 1- أما بعد فقد قال معاذ بن جبل.."[54] ، وختمه بقوله:" الجولة الأربعون: 1- حج الشبلي، فلما رأى مكة.."[55].

والملفت للنظر- وفي حدود ما توفر لدينا من مراجع في هذا الجنس الأدبي- أننا لا نكاد نعثر على مَنْ رَتَّبَ الموضوعاتِ بحسب الحروف الهجائية؛ لأن هذه الكيفية شائعة - في الغالب- في كتب الفهارس والأعلام تيسيرا للبحث، وتجنبا للوقوع في التكرار،كما فعل ياقوت الحموي –على سبيل المثال لا الحصر-في كتابه(معجم الأدباء)؛ فهو يقول: " وجعلت ترتيبه على حروف المعجم: أذكر أوّلا من أوّل اسمه ألف، ثم من أول اسمه باء ثم تاء ثم ثاء إلى آخر الحروف، وألتزم ذلك في أول حرف من الاسم وثانيه وثالثه ورابعه، فأبدأ بذكر من اسمه آدم، ألا ترى أن أوّل اسمه همزة ثم ألف، ثم من اسمه إبراهيم لأن أول اسمه ألف وبعد الألف باء، ثم كذلك إلى آخر الحروف " [56]، وكما جاء في(كشف الظنون) الذي يقول مؤلفه: " ورتبته على الحروف المعجمة: (كَالمُغْرِبِ)، و(الأَسَاسِ)حذرا عن التكرار والالتباس"[57].

وكتاب(المُغْرِب)الوارد في نص حاجي خليفة هو كتاب: (المغرب في ترتيب المعرب)، الذي وَضَّحَ مؤلفه في مقدمة كتابه، بأنه كان: " نَاهِجًا فِيهِ طَرِيقًا لَا يَضِلُّ سَالِكُهُ، وَلَا تُجْهَلُ عَلَيْهِ مَسَالِكُهُ، بَلْ يَهْجُمُ بِالطَّالِبِ عَلَى الْمَطْلَبِ عَفْوًا مِنْ غَيْرِ مَا تَعَبٍ. وَالَّذِي أُتُّجِهَ لِتَلْفِيقِهِ اخْتِيَارِي مِنْ الْبَيْنِ تَرْتِيبُ كِتَابِ الْغَرِيبَيْنِ؛ إذْ هُوَ الْأَكْثَرُ بَيْنَهُمْ تَدَاوُلًا، وَالْأَشَدُّ عِنْدَهُمْ تَنَاوُلًا. فَقَدَّمْت مَا فَاؤُهُ هَمْزَةٌ ثُمَّ مَا فَاؤُهُ بَاءٌ حَتَّى أَتَيْت عَلَى الْحُرُوفِ كُلِّهَا، وَرَاعَيْت بَعْدَ الْفَاءِ الْعَيْنَ، ثُمَّ اللَّامَ؛ وَلَمْ أُرَاعِ فِيمَا عَدَا الثُّلَاثِيَّ بَعْدَ الْحَرْفَيْنِ إلَّا الْحَرْفَ الْأَخِيرَ الْأَصْلِيَّ، إذْ لَمْ أَعْتَدَّ فِي أَوَائِلِ الْكَلِمِ بِالْهَمْزَةِ الزَّائِدَةِ لِلْقَطْعِ أَوْ الْوَصْلِ، وَلَا بِالْمُبْدَلَةِ فِي أَوَاخِرِهَا وَإِنْ كَانَتْ مِنْ حُرُوفِ أَصْلٍ، وَلَا بِنُونٍ فِي فَنْعَلَ وَلَا بِالْوَاوِ وَأُخْتِهَا فِي فَوْعَلَ وَفَعْوَلَ "[58]، بينما يعني صاحب كشف الظنون ب(الأساس) كتاب: (أساس البلاغة) للزمخشري، الذي استهل أَوَّلَ بَابٍ فيه ، بكتاب الهمزة: أ ب ب ، وقال في مقدمته: " وَقَدْ رُتِّبَ الكِتَابُ عَلَى أَشْهَرِ تَرْتِيبٍ مُتَدَاوَلاً، وَأَسْهَلِهِ مُتَنَاوَلًا، يَهْجُمُ فِيهِ الطَّالِبُ عَلَى طَلِبَتِهِ[:الطَّلِبَةُ: الحاجةُ- ينظر، اللسان، مادة: طلب] مَوْضُوعَةٌ عَلَى طَرَفِ التَّمَامِ وَحَبْلِ الذِّرَاعِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَحْتَاجَ فِي التَّنْفِيرِ عَنْهَا إِلَى الإِيجَافِ وَ الإِيضَاعِ، وَإِلَى النَّظَرِ فِيمَا لَا يُوصَلُ إِلَّا بِإِعْمَالِ الفِكْرِ إِلَيْهِ، وَفِيمَا دَقَّقَ النَّظَرَ فِيهِ الخَلِيلُ وَسِيبَوَيْهِ "[59].

المنارة للاستشارات

أما على صعيد **طبيعة المضمون**، فهناك من يدرج موضوعات شتى على سبيل التنوع. ومن فرط حرص بعضهم على هذا التنوع مَنْ كَتَبَ داخل المتن العربي فقرات باللغة الفارسية. كما فعل العاملي[60]؛ وهذا التنوع في التأليف هو الأكثر انتشارا في هذا الأدب.

وفي مقابل ذلك؛ يوجد من يكتفي بموضوع واحد للكتاب كما فعل الأصمعي بكتابه(الإبل)، و العباس بن بكار الضبي (ت222هـ) بكتابه (أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان) [61] و الجاحظ في عدة مؤلفات منها كتاب(البخلاء) الذي يتلخص أسلوب تأليفه فيما وصفه به مؤلفه؛ من أنه في : " نوادر البخلاء، واحتجاج الأشحاء، وما يجوز في ذلك من باب الهزل وما يجوز في باب الجد ".[62]، ومن ذلك-أيضا- كتاب(طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار لابن عبد ربه(ت328هـ)[63].

وبخصوص عناوين مصنفات أدب المحاضرات، فإن العنوان لا يقتصر على كلمة (محاضرات) وحدها، بل يعطف عليها، أو أنها لا تذكر ويأتي المؤلف بما هو قريب من معناها، كالمحاورات والمجالسات ونحوها؛ بما يعبر عن مترادف الفضاءات التي كانت تجري فيها تلك الأدبيات التي تشكل المادة المعرفية لأدب المحاضرات: من محاورة ومجالسة ومذاكرة ومؤانسة وتظرف وتأدب، وسمر. ومن ذلك عنوان كتاب(المحاضرات والمحاورات) للسيوطي ، و(نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة) للتنوخي، و(الإمتاع والمؤانسة) لأبي حيان، و(اللطائف والظرائف) للثعالبي. كما تضمنت العديد من عناوين كتب هذا الأدب معاني الجوهر والمعاني الدائرة في فلكه مثل(نثر الدر في المحاضرات) للآبي، و(العقد الفريد) لابن عبد ربه، و(أطواق الذهب...) للزمخشري، و(جواهر الأدب) لأحمد الهاشمي.

وبعد هذه الإطلالة على تطور أدب المحاضرات، وتميز طريقة تأليفه، ومضمونه، وعناوين تآليفه. **فما هو أدب المحاضرات إذن؟** وللإجابة على هذا التساؤل، وفضلا عن التعريفين اللغوي والاصطلاحي المعهودين؛ فقد حاولنا استنباط مدلول هذا الجنس الأدبي- وما الذي يعنيه- مما بَيَّنَهُ بعض من ألف في هذا الاتجاه، وخاصة في مقدمات تآليفهم. فقد تناول يحي الجبوري[64]- محقق كتاب(المحاضرات والمحاورات) للسيوطي- هذا الموضوع، معترفا بأن الدارسين والنقاد لم يحددوا بعد هذا النوع من الأدب: " معنى

المنارة للاستشارات

المحاضرة: ولم نقف بعد على معنى المحاضرة"[65]، ثم أخذ من (لسان العرب) معنى المحاضرة في الوضع اللغوي:

" والمُحاضَرَةُ: الْمُجَالَدَةُ، وَهُوَ أَن يُغَالِبَكَ عَلَى حَقِّكَ فَيَغْلِبَكَ عَلَيْهِ وَيَذْهَبَ بِهِ. قَالَ اللَّيْثُ: المُحاضَرَةُ أَن يُحاضِرَكَ إِنسان بِحَقِّكَ فَيَذْهَبَ بِهِ مُغَالَبَةً أَو مُكَابَرَةً. وحاضَرْتُه: جَاثَيْتُهُ عِنْدَ السُّلْطَانِ، وَهُوَ كَالْمُغَالَبَةِ وَالْمُكَاثَرَةِ. وَرَجُلٌ حَضِرٌ: ذُو بَيَانٍ. "[66].

وأما اصطلاحا؛ فإن أدب المحاضرات مرتبط بالنص المكتوب، بخلاف المحاضرات التي تلقى على طلبة ومريدي المعرفة مشافهة كما هو الأمر في أيامنا هذه، و" منه: فلان حسن المحاضرة، وألقى عليهم محاضرة"[67]. ومنهم من ذكر بأن المحاضرة" صنف من أصناف العلوم الأدبية"[68]، ونفس التحديد نجده عند الزمخشري الذي قَسَّمَ" العلوم إلى اثني عشر صنفا؛ المحاضرات أحد أصنافها، والأصناف هي: علم متن اللغة، وعلم الأبنية، وعلم الاشتقاق، وعلم الإعراب، وعلم المعاني، وعلم البيان، وعلم العروض، وعلم القوافي، وإنشاء ، وقرض الشعر، وعلم الكتابة، وعلم المحاضرات". [69]، كما نجد ذلك عند غيره، كما هو الأمر عند صاحب(روض الأخيار)؛ الذي يقول: " لمّا كان علم المحاضرات علما نافعا في أنواع المحاورات. وهو علم عال من العلوم العربية، وفن فاخر من الفنون الأدبية، يحتاج إليه طوائف الأنام، ويرغب فيه العلماء العظام". [70]. بل من المؤلفين من يعتبر مجموع المنتخبات الشعرية في كتاب يدخل في أدب المحاضرات: "ولما كانت المحاضرة تقع بالمنظوم كما تقع بالمنثور دونوا الدواوين[71] المشتملة على القصائد والمقاطيع..."[72] وإلى ذلك يذهب ابن خلدون(ت808هـ) الذي يتناول المحاضرات ضمن علم الأدب، يقول: " هذا العلم لا موضوع له ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها. وإنّما المقصود منه عند أهل اللّسان ثمرته، وهي الإجادة في فنّي المنظوم والمنثور،... ثمّ إنّهم إذا أرادوا حدّ هذا الفنّ قالوا: الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كلّ علم بطرف ...وسمعنا من شيوخنا في مجالس التّعليم أنّ أصول هذا الفنّ وأركانه أربعة دواوين وهي: أدب الكتّاب لابن قتيبة وكتاب الكامل للمبرّد وكتاب البيان والتّبيين للجاحظ وكتاب النّوادر لأبي عليّ القالي البغداديّ. وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها. وكتب المحدثين في ذلك كثيرة"[73].

إن الصفة الجامعة لتلك المصنفات التي أشاد بها ابن خلدون، إنما تتمثل في اعتماد مؤلفيها على إيراد ألوان من المعرفة دونما ترتيب؛ ولذلك يقول العاملي(ت1031هـ) في مقدمة كتابه (الكشكول): " ولما لم يتسع المجال لترتيبه، ولا وجدت من الأيام فرصة

المنارة للاستشارات

لتبويبه، جعلته كسفط مختلط: رخيصه بغاليه، أو عقد انفصم عقده فتناثرت لآليه؛ وسميته بالكشكول ليطابق اسمه اسم أخيه[74] "[75] ، وجلي من تصريح العاملي، فإن أدب المحاضرات." يقوم على فكرة الاختيار والتنويع والاستطراد"[76]

وفي ذات السياق. فقد ورد- في كتاب (المحاضرات في الأدب واللغة) لليوسي(ت1102ه) - تعريف من المُحَقِّقَيْنِ: محمد حجي وأحمد الشرقاوي إقبال، ما نصه : " علم المحاضرات[77] هو أحد العلوم التي تتفرع عن علم الأدب العربي، وتكون شعبة من شعبه الهامة " [78] . و"علم المحاضرات عرف به أحمد بن مصطفى، الشهير بطاش كبرى زاده (ت962ه)[79]، في كتابه[80]: مفتاح السعادة " [81] ؛ حيث قال: " علم المحاضرات، وهو علم تحصل منه ملكة إيراد كلام للغير مناسب للمقام؛ من جهة معانيه الوضعية، أو من جهة تركيبه الخاص"[82]، ثم عَرَّفَ الغاية والفائدة منه، فأردف يقول:" وغرضه تحصيل تلك الملكة. وفائدته الاحتراز عن الخطإ في تطبيق كلام منقول عن الغير على ما ما يقتضيه مقام التخاطب من جهة معانيه الأصلية، ومن جهة خصوص ذات التركيب نفسه"[83]، وعند بطاش كبرى زاده، علم المحاضرات- بحسب تسميته-وعلم المعاني هما أسلوبان في التخاطب من حيث مقتضى الحال أو(المحل المناسب) سواء أثناء تطبيق الخطاب أو عند استعمال كلام البلغاء على سبيل الحكاية، لذلك يقول: " والفرق بينه وبين علم المعاني؛ أن المعاني: تطبيق المتكلم كلامه على مقتضى الحال وكلام الغير على خواص لائقة بحاله، والمحاضرات: استعمال كلام البلغاء أثناء الكلام في محل مناسب له على سبيل الحكاية"[84].

وعموما فإن" كتب المحاضرات[هي]كل كتاب أدبي- [لم نعثر- في المراجع التي بين أيدينا- على كتاب ليس من الجنس الأدبي- وقد تضمن عنوانه لكلمة: محاضرة- إلا على كتاب السيوطي(حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة). ولعل العالم الكبير السيوطي يعني بالمحاضرات هنا: مجموع أخبار وأحداث، ومعطيات متنوعة عن تاريخ مصر والقاهرة، وفي هذا الاتجاه-اصطلاحا- يكون السيوطي في نفس المفهوم الذي يرسم حد أدب المحاضرات، مع اختلاف في طبيعة المادة.]-تنوعت مواده، وجمع محتواه بين الفائدة والإمتاع ...وقد ظهرت في العهود الإسلامية الماضية وتكاثرت أعدادها...فشغلت حيزا واسعا في مكتبة الأدب العربي"[85].

المنارة للاستشارات

ومما سبق نخلص إلى القول: بأن أدب المحاضرات هو" مختارات من الأحاديث والقصص والنوادر والمقامات والطرائف والفوائد اللغوية والأدبية والتاريخية، ونماذج من الشعر على سبيل الاستشهاد، وما إلى ذلك من فنون التأليف"[86]. وقد تنقل تلك المختارات من مجالس حضرها المؤلف ، كما هو الأمر مع التنوخي: " هذه ألفاظ تلقّطتها من أفواه الرجال، وما دار بينهم في المجالس " [87] .

ولعل من أبرز كُتُبِ المجالس، وأعمقها من حيث ألوان العلم والأدب، واللغة والأخبار والسير، وغيرها؛ هو كتاب(الإمتاع والمؤانسة) الذي وضعه بأمر ممن كان صديقا له، أبي الوفاء المهندس ليروي له فيه-تحت طائلة التهديد- ما دار بينه وبين الوزير أبي عبد الله العارض[88]؛ بحيث كان الوزير يسأل وأبو حيان يجيب..في أربعين ليلة[89].

ومن بين مظاهر هذا التنوع في أدب المحاضرات هذا الكم الهائل من الطُّرَف والنوادر التي تزخر بها جل مؤلفات أدب المحاضرات ، والتي تشكل جزءا ذا بال عند المؤلفين في مقدمات كتبهم لحاجة الجد إلى الهزل كما يقول الجاحظ في مقدمة كتابه (البخلاء): " أذكر

لي نوادر البخلاء في باب الجد، لأجعل الهزل مستراحا، والراحة جماما ، فإن للجد كدا يمنع من معاودته"[90]، ولذلك لا يكاد يخلو أثر من النكت، ففي(البيان والتبيين) أورد : من نوادر الأخبار والأشعار، وأخلاط من أشعار ونوادر، ونوادر المجانين. أما ابن قتيبة في(عيون الأخبار: ، فإنه لا يكتفي بإيراد النوادر، وإنما راح يبرر لضرورة وجودها. يقول-: " ولم أخله مع ذلك من نادرة طريفة، وفطنة لطيفة ، وكلمة معجبة، وأخرى مضحكة؛ لئلا يخرج عن الكتاب مذهب سلكه السالكون، وعروض أخذ فيها القائلون، ولأروّح بذلك عن القارىء من كدّ الجدّ وإتعاب الحق. فإنّ الأذن مجّاجة، والنفس حمضة، والمزح إذا كان حقا أو مقاربا ولأحايينه وأوقاته وأسباب أوجبته ، مشاكلا ليس من القبيح ولا من المنكر، ولا من الكبائر ولا من الصغائر إن شاء الله "[91].

وقد حاول هذا الكاتب إقناع من سماهم بالمتزمتين بوجود النوادر" واعلم أنك إن كنت مستغنيا عنه بتنسكك فإن غيرك ممن يترخّص فيما تشدّدت فيه محتاج إليه، ... وإنما مثل هذا الكتاب مثل المائدة تختلف فيها مذاقات الطعوم لاختلاف شهوات الآكلين"[92].

المنارة للاستشارات

وللطرائف غايات قد لا تقتصر على مجرد التسلية عند أصحاب هذا الفن، بل هي وسيلة لكشف حقيقة الناس، كما فعل التنوخي-مع أحد المتصوفة- في كتابه(نشوار المحاضرة)؛ حيث يأتي بجملة من طرائف، تحت عنوان: من مخاريق الحلاج[93]، وقد تكون النوادر لغاية تعليمية كما هو الأمر عند الآبي في كتابه(نثر الدر)؛ حيث يقول: " وختمته بنوادر وملح وشحت الْفضل بهَا. وَلَعَلَّ قَائِلا يَقُول: هلا أفرد للهزل كتابا أَو أَخّرهُ، ليجعل لَهُ عِنْد انْقِضَاء الْجد بَابا. وَلَا يعلم أَنِّي جعلت ذَلِك مصيدة للجاهل تفقه على الْعلم، وحيالة للهازل، توقعه فِي الْجد"[94].وقد خصص الآبي بابا-بنفس الكتاب- عنونه ب" اتفاقات عَجِيبَة فِي الجِدِّ والهزل"[95].

وقد ذكرنا قبل قليل بأن انتشار هذا التنوع في موضوعات أدب المحاضرات قد رافقه تأليفٌ اقتصر فيه الكُتَّابُ على موضوع واحد. ومن هذه المؤلفات المتخصصة في موضوع واحد، فقد ذكرنا على سبيل المثال، كتاب(الإبل) للأصمعي، كما ألف الجاحظ سلسلة كتبه: الحيوان، والبخلاء، والبغال، و(البرصان والعرجان والعميان والحولان). وكذا كتاب(البيزرة) لبازيار العزيز؛ يظن أنه أبو عبد الله الحسن(ت ق4ه)، وكتاب (أخبار الحمقى والمغفلين) لجمال الدين، الجوزي (ت597ه)، وغيرها.

ولئن أسلفنا الذكر في أدب الموضوع الواحد، إلا أننا- في هذه المرة- نشير إلى أن موضوع المرأة- كانشغال أدبي- قد نال حظا من اهتمام الأدباء منذ ذلك العهد المبكر للتأليف في كل من المشرق والأندلس، وقد رافق تطور أدب المحاضرات في مختلف عهوده. ومن ذلك (أدب النساء الموسوم بكتاب العناية والنهاية) لعبد الملك، السلمي الإلبيري، أبو مروان (ت238ه)، وكتاب(بلاغات النساء)لابن طيفور (ت280ه)، وكتاب(أشعار النساء) للمرزباني(ت384ه)، و(من مناقب النساء الصحابيات)لعبد الغني، الجماعيلي، تقي الدين (ت600ه)، و(أخبار النساء) لجمال الدين، الجوزي (ت 597ه)، و(تسلية نفوس النساء والرجال عند فقد الأطفال) لزين الدين ، ابن رجب ، السَلامي(ت795ه)، و(نزهة الجلساء في أشعار النساء) للسيوطي (ت911ه)؛ ومن شدة اهتمام الباحثين بهذا اللون من الأدب، فقد تم استخراج ما يتعلق بموضوع النساء من كتاب(العقد الفريد)؛ ووضع بين دفتي كتاب، وَ عُنْوِنَ(كما أسلفنا) بِـ(طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار) لابن عبد ربه(ت328ه).

المنارة للاستشارات

بقي أن نشير إلى أن هذه المؤلفات تتنوع-أيضا- من حيث حجم الكتاب، ففي الوقت الذي نجد فيه جل مؤلفات أدب المحاضرات يكتفي أصحابها بمجلد واحد(من الحجم المتوسط) أو إثنين، نجد من يتوسع إلى أكثر من ذلك. فمن الكتب الضخمة: كتاب(البصائر والذخائر)لأبي حيان التوحيدي(ت نحو400هـ)الذي حققته الباحثة وداد القاضي، و يقع في عشرة أجزاء، و(العقد الفريد) في ثمانية أجزاء، و(التذكرة الحمدونية) لمحمد بن الحسن ، ابن حمدون (ت562هـ) في عشرة أجزاء، و (ربيع الأبرار ونصوص الأخيار) لجار الله الزمخشري (ت583هـ) في خمسة أجزاء. واقتصر بعضهم على المؤلَّف من الحجم الصغير كما فعل الزمخشري في كتابه(أطواق الذهب في المواعظ والخطب = كتاب المقالات)؛ والمقال عند الزمخشري في هذا الكتاب: يعني القول الحكيم وحسن الموعظة. يقع في مائة مقالة (قول) في بضع وثلاثين صفحة.

ومما لاشك فيه أن هذا العدد الوفير من المؤلفات- التي طبعتها قواسم مشتركة في طريقة التأليف وفي المضامين- قد كانت أسباب تأليفها، وكذا الغايات التي تصبو إليها؛ هي الأخرى ذات مشارب وتطلعات متقاربة. فما هي **دواعي وغايات التأليف في أدب المحاضرات**؟

فأما عن دواعي التأليف في أدب المحاضرات و الغاية منه ، فلا تكاد تخلو مقدمة من كتب هذا اللون من الأدب من ذكر ذلك ؛ وإن تنوعت تلك الأسباب والغايات من كاتب إلى آخر أحيانا، وهو أمر بديهي. فقد حدد ابن قتيبة (ت276هـ) في كتابه (عيون الأخبار) جملة من الأهداف : " وهذه عيون الأخبار نظمتها لمغفل التأدب تبصرة، ولأهل العلم تذكرة، ولسائس الناس ومسوسهم مؤدّبا ، وللملوك مستراحا" [96]. و تبدو الغاية التعليمية واضحة في قول ابن قتيبة :(ولأهل العلم تذكرة)؛ كما كانت للكاتب غاية أخرى- في تأليف سابق يشير إليه؛ ولعله كتاب(أدب الكاتب)-تتعلق بوصاياه التي أسداها لِلْكُتَّابِ مبينا لهم فيها كيفية كتابة الرسائل.

ولعل من المفيد أن نذكر بأن **ظاهرة توجيه الكُتَّابِ هذه تشكل قضية نقدية جديرة بالبحث**، فقد سبقت الإشارة إلى أن عبد الحميد الكاتب كان قد وَجَّهَ رسالة للكتاب، و كذا الجاحظ في الجزء الثاني من(رسائل الجاحظ) التي نشرها عبد السلام هرون؛ وهاهو ابن قيبة هو الآخر يسدي نصائحه للكتاب، وسيأتي- من الأندلس- ابن عبد

الإمارات للاستشارات

ربه على نفس خطى من ذكرنا : " وإني كنت تكلفت لِمُغْفِلِ التأدب من الكُتَّابِ كتابا في المعرفة ، وفي تقويم اللسان واليد، حين تبينت شمول النقص ، ودروس العلم "[97].

ويؤكد الجبوري بأن **الغاية التعليمية** واردة في أدب المحاضرات؛ بقوله: " مفهوم المحاضرات يعني، ما يختاره المؤلف من ثمار العلوم والمعارف من لدن السابقين، وفق ذوقه واختياره، وكثيرا ما يهدف المصنف إلى الغاية التعليمية والتربية الخلقية، والتماس العبرة من تجارب السابقين، وما إلى ذلك"[98].

بينما يقول اليوسي(ت1102 ه) في مقدمة كتابه، المحاضرات في الأدب واللغة: " وإني قد اتفقت لي سفرة بان بها عني الأهل شغلا وتأنيسا، وزايلني العلم تصنيفا وتدريسا، فأخذت أرسم في هذا المجموع ...وسميته المحاضرات ليوافق اسمه مسماه، ويتضح عند ذكره معناه، وإنما أذكر فيه فوائد وطرفا، وقصائد ونتفا"[99].

ويُفْصِحُ صاحبُ(نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة) عن أسباب التأليف، فيقول: " وأفصحت عن السبب الذي حرّكني على جمعها ، ونشّطني لكتبها، وهو ما اعتبرته من تغيّر الطبائع، واستحالة الصنائع، وموت الرجال، وقلّة الأموال، وفقد الكمال، في أكثر الأحوال ، وعدم الراغب في الحفظ، لليسير من اللفظ فضلا عن الكثير، وتواطؤ الجمهور، على هذه الأمور، في هذا الزمان الصعب ، الكثير النّوب ، القاطع بمحنه عن الأدب"[100]. مبينا الغاية من تأليف كتابه: " ليستفيد منها العاقل اللبيب، والفطن الأريب، إذا طرقت سمعه، وخالطت فهمه، من آداب النفس، ولطافة الذهن والحسّ، ما يغنيه عن مباشرة الأحوال، وتلقّي مثله من أفواه الرجال، ويحثّه على العلم بالمعاش والمعاد، والمعرفة بعواقب الصلاح والفساد"[101]

وبروح نقدية من ابن عبد ربه (ت328ه). لِمَا آلت إليه كتب عصره، يكشف عن بعض الغايات التي يهدف إليها من خلال تأليف (العقد الفريد)، ومنها إبراز المكانة التي يتبوؤها الأدب العربي- بمنظومه ومنثوره- في ديار المغرب والأندلس، حيث يقول: " وقد نظرت في بعض الكتب الموضوعة فوجدتها غير متصرّفة في فنون الأخبار، ولا جامعة لجمل الآثار؛ فجعلت هذا الكتاب كافيا [شافيا] جامعا لأكثر المعاني التي تجري على أفواه العامّة والخاصّة. وتدور على ألسنة الملوك والسّوقة. وحلّيت كلّ كتاب منها بشواهد من الشّعر ،

المنارة للاستشارات

تجانس الأخبار في معانيها، وتوافقها في مذاهبها؛ وقرنت بها غرائب من شعري، ليعلم الناظر في كتابنا هذا أن لمغربنا على قاصيته ، وبلدنا على انقطاعه، حظّا من المنظوم والمنثور"[102].

أما أبو علي القالي(ت328هـ) فله في(أماليه) غاية أخرى تمثلت في نشر كتابه لمن هو جدير به، يقول" ثم صنته بالكتمان عمن لا يعرف مقداره، ونزهته عن الإذاعة عند من يجهل مكانه؛ وجعلت غرضي أن أودعه من يستحقه، وأبديه لمن يعلم فضله، وأجلبه إلى من يعرف محله؛ وأنشره عند من يشرفه، وأقصد به من يعظمه؛ إذ بائع الجوهر وهو حجر يصونه بأجود صوان، ويودعه أفضل مكان "[103]

وأما الآبي(ت421هـ) فإنه يريد أن يحقق -من وراء تأليفه (نثر الدر في المحاضرات)- جملة من الغايات دفعة واحدة؛ يقول: " وسميته " نثر الدّرّ ". فَلَا يعثر فِيهِ من النّظم إِلَّا بِالْبَيْتِ الشارد، والمصراع الْوَاحِد الَّذِي يرد فِي أدراج الْكَلَام يتم بِهِ مقطعه، وأثناء خطاب يحسن مِنْهُ موقعه. وَهُوَ كتاب ينْتَفع بِهِ الأديب الْمُتَقَدّم، كَمَا ينْتَفع بِهِ الشادي المتعلم، ويأنس بِهِ الزَّاهِد المتنسك، كَمَا يأنس بِهِ الخليع المتهتك ، وَيحْتَاج إِلَيْهِ الْملك فِي سياسة ممالكه، كَمَا يحْتَاج إِلَيْهِ الْمَمْلُوك فِي خدمَة مَالِكه، وَهُوَ نعم العون لِلْكَاتِبِ فِي رسائله وَكتبه، وللخطيب فِي محاوراته وخطبه، وللواعظ فِي إنذاره وتحذيره، وللقاضي فِي إذكاره وتبصيره، وللزاهد فِي قناعته وتسليه، وللمتبتل فِي نزاهته وتخليه. فَأَما النديم فَغير مستغنٍ عَنهُ فِي مسامرة رئيسه، وَأما الملهى فمضطر إِلَيْهِ عِنْد مضاحكته وتأنيسه"[104].

ومما يزكي ماذهب إليه الآبي نحو تحقق تلك الغايات، أن عنصر التشويق متأصل في أدب المحاضرات، وخاصة عند حسن استخدام فن الحكي، وإضفاء عليه شيء من الشاعرية، كما هو عند اليوسي- على سبيل المثال- ؛ الذي يقول: "وقال بعضهم: كنت عند جسر بغداد؛ فإذا بفتاة حسناء قد مرت، فجاء فتى من الجانب الآخر، فلما رآها قال: يرحم الله علي بن الجهم(ت249هـ). فقالت: ويرحم الله أبا العلاء المعري(ت449هـ)، ثم انطلق كل لحاجته، ولم يقف. قال: وتبعت المرأة، وقلت لها: لئن لم تخبريني بما جرى لأفضحنك، فقالت: لاشيء؛ إلا أنه أشار إلى قول علي بن الجهم:

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري [الطويل]

فأشرت أنا إلى قول المعري:

فيا دارها بالحزن إن مزارها قريب؛ ولكن دون ذلك أهوال "[105] [الطويل]

المنارة للاستشارات

وهناك عنصر آخر يصادفنا في جل كتب المحاضرات، ولا يقل أهمية عن أسلوب التشويق الآنف الذكر؛ إن لم يكن واحدا من ضروب التشويق ، إنه: فن سرد الألغاز الذي يمثل لونا آخر من أساليب الحكي؛ فضلا عن كون طرح الألغاز لعبة ذكاء تمرن على ترويض الذاكرة بتخزين ألوان المعرفة، وبما توفره -أيضا-من مادة طريفة هي إضافات لهذا الجنس الأدبي زخما وتنوعا ومتعة، ومثال ذلك نأخذه من كتاب اليوسي أيضا؛ حيث يقول: " ونحوه قول الآخر:

وثَنِيَّةٍ جَاوَزْتُهَا بِثَنِيَّةٍ حَرْفٍ يُعَارِضُهَا ثَنِيٌّ أَدْهَمُ[الكامل]

فالثنية الأولى ثنية الجبل، والثانية: الناقة التي ذلك سِنُّهَا، والثني الآخر ظِلُّهَا؛ وهو أدهم أي: أسود"[106].

وجلي من النموذجين السابقين لليوسي-كما هو الأمر في مختلف العينات التي اقتطعناها من نماذج شتى- أن أسلوب الكتابة عموما قد اتسم بوضوح العبارة، وتجنب الغريب، والبعد عن التكلف، وهذا قريب مما سجله زكي مبارك بعد دراسته لكتاب(نشوار المحاضرة) للتنوخي؛ حيث أبرز جملة من الخصائص التي يتسم بها أسلوب هذا الكتاب، ومنها: التصوير الجميل، والألفاظ المتخيرة، مع دقة الدلالة والمرونة في التعبير، والقدرة على التصرف في فنون الكلام، والتحليل الدقيق لطبائع الناس.[107]

وقد حاول بعض أصحاب الفهارس والتراجم حصر مؤلفات أدب المحاضرات، منهم عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم في كتابه (الدليل إلى المتون العلمية) ، حيث يقول:" أولاً " كتب علم المحاضرات"، ثم يُعِدُّ قائمة بثمانية كتب وردت خلال بحثنا هذا ؛ ومنها: (العقد الفريد) و(التذكرة الحمدونية) و(محاضرات الأدباء للراغب الإصفهاني). [108].

نتائج وملاحظات:

و بعد هذه الإطلالة المقتصرة على تتبع نشأة وتطور أدب المحاضرات حاولنا تسجيل الملاحظات التالية:

1- تدوين القرآن الكريم في مصحف مكتوب، وكذا تدوين السنة النبوية، وما يعرف بالدواوين الشعرية في إطار مصادر الأدب العربي ، كان فتحا كبيرا للتآليف الأدبية ومنها المتعلقة بهذا الجنس الأدبي.

المنارة للاستشارات

2- إن جذور التأليف الأدبي عربية خالصة تمتد إلى بواكير رسائل أخبار القبائل وأيام العرب التي كانت في عهد معاوية، أي قبل أن يكون التأثر بالثقافة الفارسية. وتأتي رسائل عبد الحميد الكاتب، ومؤلفات ابن المقفع في مرحلة لاحقة.

3- تناولت كتب المحاضرات أخبار مجالس الحكام وأهل العلم والأدب، كما تضمنت الأشعار والحكم والأمثال والطرائف والألغاز.

4- كان لتشجيع الخلفاء والحكام الدور الكبير في نشر هذا الفن؛ ولذلك فإن ما كان يجري في مجالسهم بحضور العلماء والأدباء والشعراء، وأهل الرأي والحكمة يشكل المعين الذي لاينضب لمؤلفات هذا الأدب عبر العصور. ومن العوامل المساعدة أيضا: مرافقة وسائل الكتابة وتطور صناعة الكتاب. كما قامت بيوت الوراقين التي ازدهرت في بغداد أولا ثم في حواضر العالم الإسلامي بدور ريادي في جمع العلماء والأدباء على اختلاف مشاربهم الفكرية والعقدية؛ مما كان له أبلغ الأثر في ازدهار هذا الأدب. كما شكلت حواضر العلم- بما تحويه من مكتبات عامرة كدار الحكمة، ومن دور للتعليم كالمدرسة النظامية- رافدا لهذا التأليف. وكان لانتشار المتكلمين والمتصوفة و القُصَّاص والوُعَّاظ في العصر العباسي وما بعده الأثر الواضح في هذ الجنس الأدبي شكلا ومضمونا.

5- يلاحظ ندرة الدراسات –في حدود المراجع المتوفرة لدينا-التي تطرح موضوع أدب المحاضرات، باستثناء ما أورده ابن خلدون عند تصنيفه لعلوم الأدب كما أسلفنا، وما قدمه بطاش كبرى زاده من تعريفات هامة تتعلق بالموضوع في كتابه(مفتاح السعادة)؛ حيث يربط علم المحاضرات- بحسب تسميته-بعلم المعاني. ومنها ما أورده الجبوري- كمحقق- في مقدمته لكتاب (محاضرات الأدباء) للراغب الإصفهاني، وكذا ما أنجزاه محققا كتاب (المحاضرات في الأدب واللغة) لليوسي.

6- لا يأنف بعض مؤلفي كتب المحاضرات من نقل أخبار ومعلومات -عن مجالس وأفراد- بواقعية حرفية و(حرية تعبير غير مقيدة بأي التزام) ومنها ما يُخِلُّ بالحياء؛ في حين يَتَوَرَّعُ البعض الآخر عن نقل ذلك. ويبدو أن الجاحظ أول من فتح باب الكتابة عن كل شيء في جملة من مؤلفاته رغم أهميتها العلمية والأدبية والفكرية؛ كما هو معروف في البيان والتبيين ، والحيوان وغيرهما. وقد تبعه آخرون منهم ابن طيفور(ت280هـ)، وأبو حيان التوحيدي(ت نحو400هـ)، وابن حمدون (ت562هـ)، واليوسي (ت1102هـ)، وغيرهم.

المنارة للاستشارات

7- يذكر بعض مؤلفي هذا الأدب في مقدمات كتبهم الأسباب التي دفعتهم للتأليف، وكذا الغايات التي ينشدونها منه؛ ولذلك تتعدد الأسباب وتتنوع الغايات ، و من أبرز مرامي هذا الأدب الغاية التعليمية وإشاعة العلم. ولعل الطريف في موضوع الغايات؛ هو ما صرح به ابن عبد ربه-كما اسلفنا الذكر- والمتمثل في التعريف بأدب المغاربة والأندلسيين للأشقاء المشارقة، وهي نظرة تعبر عن وعي مبكر ورغبة صادقة من أجل ترقية الأدب المغاربي إلى مصاف المنجز الأدبي المشرقي الضخم.

8- لقد لفت انتباهنا- أثناء هذه الدراسة- بأن مشاهير من الكتاب الرواد قد قدموا توجيهات لكتاب عصرهم، وحاولوا بذلك –منذ العصر الأموي- رسم قواعد للكتابة الأدبية؛ بتقديم أهم خطوات إنجاز الإبداع الفني والجمالي. وقد تعاقب على هذا التوجيه النقدي كل من عبد الحميد الكاتب في رسالته التي وجهها للكتاب، و الجاحظ في رسائله، وابن قتيبة في أدب الكاتب، وفي الأندلس كان ابن عبد ربه يقول: " وإني كنت تكلفت لِمُغْفِلِ التأدب من الكُتَّابِ كتابا في المعرفة ". ولعل البحث في مسار أدبنا قديما وحديثا قد يكشف لنا عن آخرين سلكوا نفس النهج في توجيه الأدب والأدباء في عصورهم.

9- إن هذه الظاهرة النقدية الجريئة جديرة بأن تعنى بها الدراسات الأدبية الحديثة، للكشف عن جهود أولئك الرواد من جهة، ولبيان مدى جدوى تلك الجهود في تطور الكتابة العربية من جهة أخرى.

10- من حيث أسلوب الكتابة: يعتمد أدب المحاضرات في المضمون على تنوع الموضوعات، ونقل أخبار مجالس أهل العلم والأدب والرأي. مع الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف، والأشعار والحكم والأمثال، فضلا عن لازمتي الطرائف والألغاز. فهو-بحق- كما عنون بهاء الدين العاملي كتابيه(الكشكول) و(المخلاة)، أو هو كما قال ابن خلدون: "الأخذ من كلّ علم بطرف". بينما في **الشكل** يعتمد أغلب كتابه على استخدام الجمل القصيرة والفقرات المقتضبة باستثناء عند نقل الرسائل أو بعض النصوص عند التمثيل. تجنب المحسنات اللفظية إلا ما ورد عفوا. شيوع الثقافة الاسلامية.

المنارة للاستشارات

11- ونظرا لكل ماسبق ذكره؛ فنحن أمام ظاهرة أدبية لها هيكلها الفني والجمالي ، وتتمتع بخصائصها المتميزة على **مستوبين:**

الأول: يتعلق بالمصادر الأدبية؛ بحيث يمكن أن يُحْتَوَى هذا اللون المتميز من التأليف في مجموعة تلك المصادر ليكون إضافة كانت كامنة في تراثنا الأدبي وحان الوقت لتثمينها على مستوى الدراسات النقدية الحديثة.

ولعل **المستوى الثاني** يتعلق بجنس أدبي له ماهيته، وطبيعته، ووظيفته، وقيمته العلمية، وخصائصه الفنية؛ كما له أعلامه. وهو بذلك يتمتع بقدر وافر من(التفرد) الأدبي والجمالي، وبالتميز الذي قد يؤهله لأن يكون ضمن المناهج والمقررات الجامعية من أجل تأصيله بالدراسات الأكاديمية، و ميادين وورشات البحث العلمي.

وأخيرا نعترف بأن ما قُدِّمَ في هذه المساهمة يبقى قاصرا، ولا يعدو أن يكون مجرد وجهة نظر في كم هائل من تراثنا الأدبي. وإنَّا لَنَرْجُو أن يحظى هذا الموضوع بالمتابعة والإضافات الجادة.

الهوامش:

1- ينظر ، جمع القرآن(دراسة تحليلية لمروياته). أكرم عبد خليفة الدليمي. دار الكتب العلمية. بيروت- لبنان. ط1. 2006م. 120.

2- ينظر، تفسير القرآن العظيم. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت774هـ). تح: سامي بن محمد سلامة. دار طيبة للنشر والتوزيع. ط2. 1420هـ - 1999 م. 25/1.

3- ينظر ، كتاب المصاحف. أبو بكر بن أبي داود، السجستاني (ت316هـ). تح: محمد بن عبده. الفاروق الحديثة - مصر / القاهرة. ط1، 1423هـ - 2002م. 88/1.

4- ينظر، مناهج التأليف عند العلماء العرب، قسم الأدب. مصطفى الشكعة. دار العلم للملايين بيروت، لبنان. ط6، نيسان/ أبريل 1991م. 55.

5- ينظر، موسوعة الوراقة والوراقين في الحضارة العربية الإسلامية. خير الله سعيد. الانتشار العربي. بيروت، لبنان. ط1. 2011. المجلد الأول: ج1. 14.

6- ينظر، المصدر نفسه: 387.

7- ينظر، المصدر نفسه والصفحة.

8- ينظر، مقدمة محققي . الجواهر الحسان. الثعالبي (ت875هـ). تح: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود. دار إحياء التراث العربي - بيروت. ط1 - 1418 هـ. 86/1.

9- ينظر، مناهج التأليف. 731.

المنارة للاستشارات

10- ينظر، تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي، شوقي ضيف(ت1426هـ). دار المعارف بمصر. ط 7. دت. 470.

11- ينظر، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي. 474.(مرجع سابق).

12- ينظر النص الكامل في: الفهرست. أبو الفرج محمد بن إسحاق، ابن النديم (ت438هـ). تح: إبراهيم رمضان. دار المعرفة بيروت - لبنان. ط2. 1417 هـ - 1997 مـ 62/1.

13- ينظر، البيان والتبيين. الجاحظ. تح: عبد السلام محمد هرون. مكتبة الخانجي بالقاهرة. ط7. 1418هـ-1998م: 377/1.

14- هو" عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب(ت129هـ): من شجعان الطالبيين وأجوادهم وشعرائهم. طلب الخلافة في أواخر دولة بني أمية (سنة127هـ). بالكوفة، وبايع له بعض أهلها، فسير أمير العراق (ابن هبيرة) الجيوش. فقبض عليه وقتل. وقيل: مات في سجن أبي مسلم سنة131هـ ". ينظر، الأعلام: 139/4.

15- ينظر، البيان والتبيين: 86/2.

16- ينظر، مناهج التأليف: 67.

17- ينظر، المصدر نفسه: 71.

18- ينظر، المصدر نفسه: 73.

19- للاطلاع على نص الرسالة، ينظر، المصدر نفسه: 73 و74.

20- ينظر، النثر الفني في القرن الرابع. زكي مبارك. ط2. المكتبة التجارية الكبرى بمصر و مطبعة السعادة بمصر. دت. 43.

21- أنجز زياد بن أبيه هذا الكتاب وَ" طعن فيه على العرب أنسابهم، لِمَا لقيه من عَنَتٍ منهم بسبب مولده من سفاح". ينظر، مناهج التأليف. 53.

22- هو" لوط بن يحيى بن سعيد بن مِخْنَف الأزدي، أبو مخنف(ت57هـ): رواية، عالم بالسير والأخبار، إمامي، من أهل الكوفة. له تصانيف كثيرة في تاريخ عصره وما كان قبله بيسير، منها: (فتوح الشام) و(الردة) و(الخوارج والمهلب) "، وغيرها. ينظر ، الأعلام. خير الدين، الزركلي (ت1396هـ). دار العلم للملايين. ط15 - أيار / مايو 2002 م: 245/5.

23- " و" قد كتب كثيرًا عن عرب الجنوب، كما كتب عن مغازي الرسول ﷺ ، وأهم من ذلك أنه عني بجمع أخبار أهل الكتاب، وما يتصل بها من الإسرائيليات ". ينظر، الفن ومذاهبه في النثر العربي. شوقي ضيف (ت1426هـ). دار المعارف. ط13. دت.111/1.

24--هو" محمد بن صالح بن مهران، ابن النطاح: مؤرخ، عالم بالأنساب والسير. من أهل البصرة. نزل بغداد وحدث بها. له كتاب (الدولة) و"هو أول من صنف كتابا فيها". ينظر، الأعلام: 162/6.

25- ينظر، تاريخ آداب العرب. مصطفى صادق الرافعي. دار الكتاب العربي. 185/1. بتصرف.

المنارة للاستشارات

26- ينظر، الفن ومذاهبه في النثر العربي.100/1.

27- ينظر، مناهج التأليف. 65.

28- ينظر، الفن ومذاهبه في النثر العربي. 111/1.(مرجع سابق)

29- ينظر، المصدر نفسه والصفحة.

30- نشرها عبد السلام هرون في الجزء الثاني من"رسائل الجاحظ"- تحت تسلسل: 15. سنة 1384هـ/1964م. القاهرة.

31- ينظر، موسوعة الوراقة والوراقين.1/ 24.

32- هو" بزرجمهر بن البختكان(ت...؟)، وكان من حكماء العجم وعقلائهم، وكان كسرى يفضله على وزرائه وعلماء دهره". ينظر، الأخبار الطوال. أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت282هـ). تح: عبد المنعم عامر. مراجعة: الدكتور جمال الدين الشيال. دار إحياء الكتب العربي - عيسى البابي الحلبي وشركاه / القاهرة. ط1، 1960م. 72/1.

33-هو" أردشير بن بابك بن ساسان (ت...؟)، أحد ملوك «الطوائف» على أرض «إصطخر» ". ينظر، المعارف. ابن قتيبة(ت276هـ). تح: ثروت عكاشة. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة. ط2، 1992م. 653/1.

34- هو من" ابْتَدَعَ وَوَافَقَ زَرَادِشْتَ فِي بَعْضِ مَا جَاءَ بِهِ، وَزَادَ وَنَقَصَ، وَزَعَمَ أَنَّهُ يَدْعُو إِلَى شَرِيعَةِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ حَسَبَ مَا دَعَا إِلَيْهِ زَرَادِشْتَ، وَاسْتَحَلَّ الْمَحَارِمَ...وَحَرَّمَ ذِبَاحَةَ الْحَيَوَانِ". ينظر ، الكامل في التاريخ. أبو الحسن، الجزري، ابن الأثير (ت630هـ). تح: عمر عبد السلام تدمري. دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان. ط1، 1417هـ / 1997م. 377/1.

35 هو" محمد بن محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبديّ، مولى عبد القيس، أبو الهذيل العلاف(ت235 هـ): من أئمة المعتزلة ". ينظر، الأعلام: 131/7.

36- ينظر، الرسائل السياسية. أبو عثمان، الجاحظ. دار ومكتبة الهلال، بيروت. دت:608/1. وينظر، موسوعة الوراقة والوراقين. 95/1.

37- هو" إسماعيل بن عباد، أبو القاسم الطالقانيّ(ت385هـ): وزير غلب عليه الأدب.. توفي بالري. له تصانيف جليلة، منها (المحيط)، له(ديوان شعر) وتواقيعه". ينظر، الأعلام: 316/1.

38- هو" قابوس بن وشمكير بن زيار، شمس المعالي(ت403هـ): أمير جرجان وبلاد الجبل وطبرستان.دفن بظاهر جرجان.نابغة. وله شعر جيد بالعربية والفارسية". ينظر، الأعلام : 170/5.

39- ينظر، مناهج التأليف: 91 و92.

40- ينظر، عيون الأخبار. أبو محمد، ابن قتيبة الدينوري (ت276هـ). تقديم: يوسف علي طويل. دار الكتب العلمية -بيروت. 1418 هـ. 4/1.

41 والنشوار: كلمة فارسية بمعنى: جرة الحيوانات المجترة؛ واستعملها التنوخي بمعنى: الحديث. ينظر، النثر الفني في القرن الرابع: 315/1.

المنارة للاستشارات

42- ينظر، مناهج التأليف: 324، بتصرف.

43- ينظر، المصدر نفسه: 619.

44- ينظر، المصدر نفسه. 626، بتصرف.

45- ينظر، المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي. عز الدين إسماعيل. مكتبة غريب، الفجالة، مصر. دت : 182.

46- ينظر، الفن ومذاهبه في الشعر العربي. أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف (ت1426هـ). دار المعارف بمصر.ط12: 415/1.

47- ينظر، عيون الأخبار. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري. دار الكتب العلمية -بيروت. 1418 هـ 41/1.

48- ينظر، العقد الفريد: 7/1.

49- ينظر، بهجة المَجَالس وأنس المُجالس، وشحذ الذاهن والهاجس. أبو عمر، ابن عبد البر(ت463هـ). تح: محمد مرسي الخولي. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان. د ت.المجلد الأول: 36.

50- ينظر، التمثيل والمحاضرة. أبو منصور الثعالبي(ت429هـ). تح: عبد الفتاح محمد الحلو. الدار العربية للكتاب. ط2، 1401هـ-1981م. 3.

51- ينظر، الإمتاع والمؤانسة.29/1.

52- ينظر، التذكرة الحمدونية. ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي(ت495هـ). تح: إحسان عباس، وبكر عباس. دار صادر، بيروت. ط1. 1996م. المجلد الأول. 23.

53- ينظر المحاضرات والمحاورات. مقدمة المحقق. ص:25/1، (مرجع سابق).

54- ينظر، المخلاة. بهاء الدين بن محمد بن حسين العاملي(ت1031هـ). ضبطه وصححه ووضع حواشيه: محمد عبد الكريم النمري . منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان. ط1. 1418هـ-1997م. 7.

55- ينظر، المصدر نفسه: 442.

56- ينظر، معجم الأدباء، إرشاد الأريب. أبو عبد الله ، ياقوت الحموي (ت626هـ). تح: إحسان عباس الناشر: دار الغرب الإسلامي ، بيروت. ط1، 1414 هـ - 1993 م. 5/1.

57- ينظر، كشف الظنون. 14/1.(مرجع سابق)

58- ينظر، المغرب. ناصر، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِيّ (ت610هـ). دار الكتاب العربي. ط: بدون طبعة وبدون تاريخ. 15/1.

59- ينظر ، أساس البلاغة. أبو القاسم، الزمخشري جار الله (ت538هـ). تح: محمد باسل عيون السود. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان. ط1، 1419 هـ - 1998 م. 15/1.

المنارة للاستشارات

60- ينظر: المخلاة . العاملي(ت1031هـ). ضبطه وصححه ووضع حواشيه: محمد عبد الكريم النمري. دار الكتب العلمية بيضون. بيروت. لبنان. ط1. 1418هـ-1997م. 289.

61- ينظر، أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان. العباس بن بكار، الضبي (ت222هـ). تح: سينة الشهابي. مؤسسة الرسالة. بيروت.لبنان. ط1، 1403هـ - 1983م.

62- ينظر، البخلاء. عمرو بن بحر، الجاحظ (ت255هـ). تح وتعليق: طه الحاجري. دار المعارف القاهرة مصر. ط5. سلسلة ذخائر العرب: 23. من مقدمة المحقق.

63- الكتاب أصلا من كتاب(العقد الفريد) لابن عبد ربه، مطبوع، حققه: محمد ابراهيم سليم . يتضمن تسعة أبواب تتعلق بالمرأة ؛ كاختيار النساء الصالحات، و طرائف من حياتهن، وغيرها.

64- يبدو أن الجبوري أول باحث قدم إضاءات عن موضوع أدب المحاضرات ؛ فقد حاول أن يعرف بمضمون هذا اللون من التأليف وبأهم المؤلفات. ينظر، المحاضرات والمحاورات:18-23.

65- ينظر، المصدر نفسه. 22.

66- ينظر، لسان العرب. محمد، جمال الدين ابن منظور(ت711هـ). دار صادر - بيروت. ط3 - 1414 هـ ، مادة: حضر.

67- ينظر، المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية بالقاهرة. (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر/ محمد النجار). دار الدعوة. دت. مادة: حضر، 181/1.

68- ينظر، المحاضرات والمحاورات. 22

69- ينظر، القسطاس في علم العروض. أبو القاسم، الزمخشري(ت538هـ). تح: فخر الدين قباوة. مكتبة المعارف بيروت - لبنان. ط2، 1410 هـ 1989 م.15/1.

70- ينظر، روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار. محمد الأماسي ، ابن الخطيب قاسم (ت940هـ). دار القلم العربي، حلب. ط1، 1423 هـ. 12/1.

71- من باكورة تأليف المجاميع الشعرية ما يعرف بالمفضليات والأصمعيات والحماسات. ينظر، المصادر اللغوية والأدبية. القسمان: الأول والثاني: 69-124.

72- ينظر، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم. أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كيري زاده. دار الكتب العلمية. بيرت، لبنان. ط1. 1405هـ-1985م: 217.

73- ينظر، ديوان المبتدأ والخبر.... عبد الرحمن، ابن خلدون(ت808هـ). تح: خليل شحادة. دار الفكر، بيروت. ط2، 1408 هـ - 1988م.763/1.

74- يعني كتابه: المخلاة. ينظر، الكشكول. بهاء الدين العاملي. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان. ط6. 1403هـ- 1983م.9/1.

75- ينظر، الكشكول.. 9/1 و10

76- ينظر، المحاضرات والمحاورات. مقدمة المحقق: الجبوري: 19، (مرجع سابق).

المنارة للاستشارات

77- يبدو أن العلم قد استخدم – هنا- لعلاقة أدب المحاضرات بعلم المعاني كما سيأتي.

78-ينظر، المحاضرات في اللغة والأدب. الحسن اليوسي(ت1102ه). تح و شرح: محمد حجي و أحمد الشرقاوي إقبال. دار الغرب الإسلامي، بيروت. ط2. 2006م: ش.

79- ينظر، المصدر نفسه، والصفحة.

80- ينظر، مفتاح السعادة. 208/1. (مرجع سابق).

81- كتاب" مفتاح السعادة. أحمد بن مصطفى، المعروف: بطاش كبري زاده(ت962ه)، ذكر فيه: مائة وخمسين فنا،[وأوصله ابنٌ له. إلى] خمسمائة فن". ينظر، كشف الظنون.1762/2.

82- ينظر، ينظر، مفتاح السعادة: 208/1.

83- ينظر، المصدر نفسه: 208/1 و 209.

84- ينظر المصدر نفسه: 209/1.

85- ينظر، المحاضرات في اللغة والأدب، ص: ت.

86- ينظر، المحاضرات والمحاورات.18/1و19،(مرجع سابق).

87- . ينظر، نشوار المحاضرة. 1/1.

88- هو" الوزير أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان(ت375ه) وزير صمصام الدولة البويهي(ت388ه). ينظر، الإمتاع والمؤانسة، مقدمة المحقق: 25/1.

89- ينظر، الإمتاع والمؤانسة، مقدمة المحقق: 24/1.

90- ينظر، البخلاء:5/1

91- ينظر، عيون الأخبار. تقديم/ يوسف علي طويل: 44/1 و 45.

92- ينظر، المصدر نفسه: 44/1.

93-ينظر، نشوار المحاضرة: : 165/1.

94-ينظر، نثر الدر: 3/3

95- ينظر، المصدر نفسه: 7/ 215

96- ينظر، عيون الأخبار). تح: منذر محمد سعيد.: 3/1.

97- ينظر، عيون الأخبار. تح: منذر محمد سعيد: 2/1.

98- ينظر، المحاضرات والمحاورات: 23، (مرجع سابق).

99- ينظر، المحاضرات في اللغة والأدب: س.

100- ينظر، نشوار المحاضرة. 7/2و8.

101- ينظر، المصدر نفسه. 12/1.

102- ينظر، العقد الفريد. 5/1.

المنارة للاستشارات

103- ينظر، الأمالي = شذور الأمالي = النوادر. أبو علي القالي(ت356هـ). عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي. دار الكتب المصرية. ط2، 1344 هـ - 1926م. 1/1.

104- ينظر، نثر الدر في المحاضرات. منصور، أبو سعد الآبى (ت421هـ). تح: خالد عبد الغني محفوظ. دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان. ط1، 1424هـ-2004م. 21/1.

105-ينظر، المحاضرات في اللغة والأدب. 1/ 548 و 549.

106- ينظر، المصدر نفسه: 549/1.

107- ينظر، النثر الفني:325/1-330.

108- ينظر، الدليل إلى المتون العلمية. عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم. دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية. ط1، 1420 هـ - 2000 م. 703/1.

*** *** ***

المنارة للاستشارات